بسم الله الرحمن الرحيم

بيوتنا والحاجة الى الحب

بقلم : د. محمد عبده يماني

من العقلاء من يرى أن أمتنا تقف على المنحنى الخطر .. وتمر بمرحله دقيقة عصيبة وحرجة في الوقت نفسه : فالتيارات المادّيه المختلفه، قد لفحت وجه الحياة فيها ، وأخذت تعصف بنا وتساهم الى حد كبير ، في تشويه ذواتنا وتخريب نفوسنا ، وتفكيك عرى العلاقات النبيلة ، وحرماننا من الحب الذي يدعم استقرارنا .. الأب .. الأم .. الابن .. الابنة .. الجد .. الجدّه .. العم .. العمّه .. الخال .. الخالة .. كل هؤلاء وغيرهم ، يعيشون الآن في بيوت تحتاج الى المزيد من الحب ، بعد أن كان يعمرها وينورها ويرفرف عليها بأجنحة الود والتفاهم والوئام .. بيوت أستبدلت فيها الروحية الحلوة البشوش بصلات مادّية بحته .

الأب يدخل البيت مهرولا ، قد هدّه التعب وأرهقه الدوران مع دوّامة العمل ، فيقضي فيه من الوقت مايكفي لقضاء حاجياته الضروريه ، ثم يندفع خارجا بنفس الهرولة ، ليدور مرة أخرى تلك الدوّامه ، وهو لايفكر في الجلوس الى زوجته وأولاده ليشاركهم وجدانيا ويبادلهم الحب ويمنحهم العطف ويشعرهم بالاهتمام .

والأم لها دوّامتها الخاصه هي الأخرى : فهي مثقلة بأعباء العمل في البيت ، وهي تلهث لتوفر لأولادها مايحتاجون اليه من خدمات مادّيه صرفه وليس لديها من الوقت مايجعلها تتفرّغ لأولادها ، وتفرغ عليهم من عصارة قلبها وفيض حنانها مايسعدهم ويساعدهم على السير قدما في الحياة .

وكم من فتاة حائرة تتلهف على حب أمها وتتمنى لو أنّها خلت اليها وتفهمت مشاكلها ومسحت على قلبها البريء بيدها الحنون .

وكم من فتى أرهقته الحاجة الى الحب ،وأضنته المعيشة الخاوية من الرّوحانيات في بيته فراح يلتمسها بالخارج ، أو يلتمس البديل لها وفي ذلك مافيه من خطر عليه .

وكم من جدّة أو جدّ أو عمّة أو عم أو خالة أو خال يتلهف على زيارة ودّ أو كلمة عطف من حفيد أو ابن أو أخ أو أخت .

لقد حولتنا الحياة الحديثة بأنانيتها الشرسة ومادّيتها الضارية الى آلات تتحرك بدوافع بعيدة كلّ البعد عن العواطف والمشاعر الروحية اللطيفة الملطفة .. ولقد جففت أساليبها ينابيع الحب في مجتمعاتنا وقذفت بنا بعيدا عن جذورنا وحصرت اهتمام كل منا داخل نفسه وربطتها بالمّادة ،والمادّة وحدها .

والأمثلة كثيرة واضحة لاتحتاج الى شرح أو بيان : فالأب على سبيل المثال يركض خلف مادّيات الحياة ويجتهد لتحصيل أكبر قدر منها وينسى بسبب ذلك ماهو أهم من المال ،ينسى أولاده وأن لهم في عنقه حقوقا أخرى تسعدهم سعادة أكبر من سعادتهم بما يقدمه لهم من متع مادية صرفة ومهما بذل الأب من المادّيات فان الأولاد يظلون في حاجة الى حبه وعطفه وحنانه وحدبه .. وأن جلسة عائلية هادئة مرحة تضمهم معه وأمهم أفضل عندهم عشرات المرات من تلك المتع المادية العابرة .

ان بعض الآباء يأخذ أولاده في رحلة الى الخارج - أوربا ،أمريكا .. الصين .. اليابان - وهناك ينفق عليهم بسخاء لشراء الملابس والهدايا وزيارة المتاحف والملاعب والملاهي ،ولكن لاينفق عليهم بنفس السخاء من حبه .. لماذا ؟ هل أفلس عاطفيا ؟ هل تحجّرت مشاعره ؟ واذا كان هذا قد حدث فعلا فلماذا حدث ؟ ما الذي أفقد بيوتنا الحب الذي كان يعمرها وينيرها ما الذي فرق العلاقات الطيبة التي كانت تربط بين أفراد الأسرة الواحدة ،وفكك عرى الالفة والمودة ؟ .

لقد أصبح أولادنا ينظرون الى أبيهم نظرتهم الىمصدر من مصادر الرزق والانفاق وينظرون الى الامّ نظرتهم الى الطاقة التي توفر لهم الخدمات المادية التي يحتاجون اليها .

ومعظم العقلاء يخشون أن يصيبنا في يوم من الأيام ما أصاب مجتمعات الغرب من افلاس في الحب ، ادّى الى انعدام الصّلات الروحيّه بين افراد الأسرة الواحدة ، والى سيطرة الأنانية والانعزاليه ، فأصبح الابن او الأب يبعث بأبيه العجوز أو أمه الى ملجأ أو دار للعجزه ، ويكتفي بارسال كرت له في المناسبات كأي غريب ، بينما هذا الأب في أشدّ الحاجة الى كلمة عطف أوضمّة صدر من ابنه أو ابنته .

انهم في بعض دول الغرب ، وفي بعض المجتمعات ولا أقول جميعها يفسّرون العلاقات الأسريه تفسيرا ماديا ، لايقيمون فيه أي وزن للروحانيات .. للحب .. لصلة الرحم .. لعواطف الأمومه والأبوّه ..لأي قيمة انسانية نبيلة .. ولقد وصل الحال بالبنات عندما يتزوّجن انّهن يستأصلن المبايض لئلا ينجبن .

ان البيت المستقر السعيد هو بيت آسس على الحب : يشعّ فيه الحنان ويرفرف عليه الودّ ، وتقوم المعاملات فيه على أساس انساني : ولنسمع قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)

لقد حدّثنا الله سبحانه وتعالى عن الحبّ ، وأشاد به ، وقد حضّنا الاسلام على المحبّه والمودّه ، وأمرنا أن نصل أرحامنا وأن نتعاطف ونتوادّ ونتحاب ، وأن نكون كالجسد الواحد اذا أشتكى منه عضو تداعت سائر الأعضاء بالسّهر والحمى . فهل ندرك أنفسنا ، ونلجأ الى الحبّ نعمّر به بيوتنا من جديد ولانسمح له أبدا بالافلات من بين أيدينا مرة أخرى لتظل الأسره في مجتمعنا متماسكه مترابطه ترفرف عليها السّعاده ؟

هذا مايرجوه العقلاء .